بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة باتنة1

كلية العلوم الإسلامية

مخبر بحث العلوم الإسلامية في الجزائربالتنسيق مع قسم اللغة والحضارة الإسلامية

الملتقى الوطني:

القضية الفلسطينية: جذور الصراع،

بين إكراهات الواقع وآمال التحرر.

تاريخ انعقاد الملتقى: 2025/11/11

بقاعة المناقشات بكلية العلوم الإسلامية

عنوان المداخلة: جذور الصهيونية

ط د: فنيز صبرين

المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة

المقدمة

تُعدّ الصهيونية واحدة من أخطر الحركات الفكرية والسياسية التي شهدها التاريخ الحديث، لما كان لها من أثر عميق في تشكيل واقع الشرق الأوسط وفي إعادة رسم خريطته السياسية والاجتماعية. فالصهيونية لم تكن مجرد حركة قومية يهودية كما تروّج لنفسها، بل مشروع استعماري استيطاني متكامل ارتكز على أسس دينية قديمة، وتغذّى من التحولات الفكرية والسياسية التي عرفتها أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين.

إنّ البحث في **جذور الصهيونية** يقتضي العودة إلى التاريخ اليهودي القديم، حيث تشكّلت الملامح الأولى لفكرة "الشعب المختار" و"أرض الميعاد"، وهما المفهومان اللذان مثّلا الإطار الديني الذي استندت إليه الحركة الصهيونية في تبرير مشروعها السياسي. ومع مرور الزمن، تفاعلت هذه المعتقدات مع **التحولات الفكرية الحديثة في أوروبا**، خاصة مع صعود الفكر القومي، والعلمنة، وانتشار النزعات العنصرية، مما أوجد بيئة خصبة لظهور الصهيونية بصيغتها الحديثة.

وفي أواخر القرن التاسع عشر، تجسّد هذا المشروع على يد **تيودور هرتزل** الذي حوّل الفكرة إلى حركة سياسية منظمة، سعت إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، مستفيدة من **الدعم الغربي الاستعماري** الذي رأى في الصهيونية أداة لتحقيق مصالحه في المنطقة العربية والإسلامية.

وفي المقابل، واجهت الأمة الإسلامية والعربية هذا المشروع بمواقف فكرية وسياسية متعددة، تنوعت بين الرفض العقائدي القائم على التعاليم الإسلامية، والمقاومة السياسية والدبلوماسية التي حاولت التصدي للمخططات الصهيونية في مراحلها المختلفة.

يهدف هذا البحث إلى دراسة **جذور الصهيونية** من خلال تتبع خلفياتها الدينية والفكرية، وتحليل الظروف التي مهدت لظهورها كحركة سياسية، ثم الوقوف عند **المواقف الإسلامية والعربية** تجاهها، قصد الإحاطة الشاملة بطبيعتها ومضامينها الفكرية وأهدافها الاستعمارية.

الفصل الأول: الخلفيات التاريخية والفكرية للصهيونية

<u>المبحث الأول: الجذور الدينية في الفكر اليهودي القديم</u>

لا يمكن فهم الصهيونية كحركة سياسية دون استحضار الخلفيات التاريخية والفكرية التي صاغت مبادئها وأهدافها. فالصهيونية ليست ظاهرة معزولة ظهرت فجأة في أواخر القرن التاسع عشر، بل هي نتاج تراكمات تاريخية وتحولات فكرية امتدت عبر قرون من الزمن. تتشابك في تكوينها عناصر دينية قديمة مع أفكار حديثة، وتتقاطع فيها النصوص المقدسة مع الأيديولوجيات القومية الأوروبية، لتشكل في النهاية حركة سياسية استعمارية ذات طابع استيطاني.

يسعى هذا الفصل إلى تفكيك الجذور التي نمت منها الصهيونية، مع التركيز على بُعدين أساسيين: البُعد الديني الذي يمتد إلى التراث اليهودي القديم، والبُعد الفكري المرتبط بالتحولات الأوروبية الحديثة. سنحاول الإجابة عن أسئلة جوهرية: كيف استُخدمت النصوص الدينية لتبرير مشروع سياسي؟ وما هي الظروف التاريخية التي هيأت الأرضية لظهور الفكر الصهيوني؟

1. **فكرة "شعب الله المختار" و"أرض الميعاد"**

أ. الأصول التوراتية للفكرة

تحتل فكرة "الاختيار الإلهي" و"أرض الميعاد" مكانة مركزية في النصوص التوراتية، وتُشكلان إحدى الركائز الأساسية للهوية الدينية اليهودية عبر التاريخ. تعود جذور هذه الفكرة إلى ما يُعرف بـ "العهد الإبراهيمي"، حيث يُروى في سفر التكوين أن الله اختار إبراهيم وعقد معه عهدًا، وعدَه فيه بأن يجعل من نسله أمة عظيمة، وأن يمنحهم أرض كنعان (فلسطين) ميراثًا أبديًا.

يقول النص التوراتي: "لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ" (التكوين 15: 18). ويتكرر هذا الوعد مع إسحاق ويعقوب، مما يرسخ فكرة الارتباط بين النسل الإبراهيمي وبين أرض محددة جغرافيًا.

لكن هذا العهد، بحسب النصوص نفسها، لم يكن وعدًا مطلقًا وغير مشروط. فقد ارتبط بالتزامات أخلاقية ودينية صارمة، حيث يُشترط على بني إسرائيل أن يلتزموا بشريعة الله وأوامره. يظهر هذا بوضوح في سفر التثنية، حيث يُحذَّر الشعب من أن عصيان الوصايا سيؤدي إلى فقدان الأرض: "إِنْ لَمْ تَحْفَظُوا جَمِيعَ كَلاَمِ هذَا النَّامُوسِ... يُبَدِّدُكُمُ الرَّبُّ فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ" (التثنية 28: 64)[1].

ب. المعنى اللاهوتي والروحي

في السياق الديني اليهودي التقليدي، كان مفهوم "الاختيار"[2] يحمل معنىً لاهوتيًا وأخلاقيًا أكثر منه عرقيًا أو سياسيًا. فالاختيار الإلهي لم يكن يعني التفوق الجوهري أو الحق المطلق في السيادة، بل المسؤولية الروحية والأخلاقية. كان اليهود، وفقًا لهذا الفهم، مُكلَّفين بحمل رسالة التوحيد وتطبيق الشريعة، مما يجعلهم "مملكة كهنة وأمة مقدسة" (الخروج 19: 6).

أما فكرة "أرض الميعاد"،[3] فقد كانت في جوهرها رمزًا للعهد بين الله وشعبه، وليست مجرد مطالبة جغرافية-سياسية. وقد عبّر عن هذا الفهم الروحي كثير من المفكرين اليهود عبر العصور، وخاصة في التقاليد الصوفية والفلسفية اليهودية، حيث اعتُبرت "العودة إلى صهيون" رمزًا للخلاص الروحي والسياني، وليس مشروعًا سياسيًا يُنفَّذ بالقوة البشرية.

ج. التطورات التاريخية للفكرة

بعد تدمير الهيكل الثاني في القدس عام 70 ميلادية على يد الرومان، وتشتت اليهود في مختلف أنحاء العالم، تحولت فكرة "أرض الميعاد" إلى حُلم ديني وروحي أكثر منه مشروع سياسي قابل للتحقيق. فقد تطورت في اليهودية الحاخامية فكرة "الجالوت" (الشتات) كحالة روحية وليس فقط جغرافية، وأن العودة الحقيقية إلى صهيون لن تتم إلا بمجيء المسيح المنتظر (الماشيح) وتحقيق الخلاص الإلهي.

هذا الفهم الديني التقليدي ظل سائدًا لقرون طويلة، وكان يمنع معظم التيارات اليهودية من السعي إلى "العودة" بوسائل بشرية أو سياسية. بل إن بعض التيارات الدينية اليهودية المحافظة، مثل الحاخامات الأرثوذكس المتشددين، رفضت وما زالت ترفض الصهيونية باعتبارها "تمردًا على إرادة الله" ومحاولة لتعجيل الخلاص الإلهي بطرق بشرية غير مشروعة.

---

[1]- **الكتاب المقدس (العهد القديم)**، *سفر التكوين*)الإصحاحات 12–50(، *سفر الخروج*)الإصحاح 19(، *سفر التثنية*)الإصحاح 28(، *سفر اللاويين* (الإصحاح 19)، ترجمة فاندايك العربية، بيروت: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1865.

[2] - **لمسيري، عبد الوهاب**، *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد*، القاهرة: دار الشروق، 1999، ج1، ص 152-156.

[3] - **الفاروقي، إسماعيل راجي**، *أصول الصهيونية في الدين اليهودي*، عمان: دار البشير، 1988 (الطبعة العربية عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، 1986)،ص 67-89

2. التحريف في النصوص الدينية لخدمة الأطماع السياسية

أ. علمنة النص الديني

مع ظهور الحركة الصهيونية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حدث تحول جذري في طريقة التعامل مع النصوص الدينية اليهودية. فقد قامت الصهيونية، وهي في جوهرها حركة علمانية قومية، بإعادة تفسير المفاهيم الدينية بطريقة تخدم أهدافها السياسية. تم تجريد "أرض الميعاد" من بُعدها الروحي والأخلاقي، وتحويلها إلى مطالبة سياسية واضحة بالسيطرة على أرض فلسطين.

هذه العملية، التي يمكن وصفها بـ"علمنة النص الديني"، لم تكن بريئة أو عفوية، بل كانت استراتيجية مدروسة لإضفاء الشرعية التاريخية والدينية على مشروع استعماري حديث. فقد استخدم المفكرون الصهاينة الأوائل، رغم علمانيتهم، اللغة الدينية والرموز التوراتية لحشد الدعم اليهودي والغربي لمشروعهم.

كتب ثيودور هرتزل، مؤسس الصهيونية السياسية الحديثة، في مذكراته: "سأستخدم الحاخامات، وسأجعلهم متحمسين للقضية... سأستعمل الدين، مع أنني لا أؤمن به". هذا الاعتراف الصريح يكشف عن الطبيعة الأداتية للتوظيف الصهيوني للدين: استخدامه كوسيلة لتحقيق غاية سياسية، وليس كمنظومة عقائدية يؤمن بها.

ب. انتقائية التفسير وتجاهل السياق

قامت الحركة الصهيونية بانتقاء نصوص معينة من التراث الديني اليهودي، وتضخيم أهميتها، بينما تجاهلت تمامًا نصوصًا أخرى لا تخدم أهدافها. فقد ركزت على نصوص الوعد الإلهي بالأرض، بينما تجاهلت الشروط الأخلاقية المرتبطة بهذا الوعد، والتحذيرات من فقدان الأرض نتيجة للظلم والفساد.

كما تم تجاهل النصوص التوراتية التي تدعو إلى العدل والإحسان إلى الغريب: "وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكُمْ غَرِيبٌ فِي أَرْضِكُمْ فَلاَ تَظْلِمُوهُ. كَالْوَطَنِيِّ مِنْكُمْ يَكُونُ لَكُمُ الْغَرِيبُ النَّازِلُ عِنْدَكُمْ، وَتُحِبُّهُ كَنَفْسِكَ" (اللاويين 19: 33-34). هذه القيم الأخلاقية العالية التي تحث على احترام حقوق الآخرين تم تجاهلها تمامًا في الممارسة الصهيونية.

ج. إنكار الوجود الفلسطيني: "أرض بلا شعب"

من أخطر تحريفات الخطاب الصهيوني كان الترويج لشعار "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"،[4] وهو شعار يعكس إنكارًا تامًا للواقع التاريخي والديموغرافي لفلسطين. فعندما بدأت الهجرات الصهيونية الأولى إلى فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر، كانت البلاد مأهولة بسكان أصليين عاشوا فيها لآلاف السنين، وكانت تضم مدنًا عامرة وقرى نابضة بالحياة وحضارة زراعية وثقافية متجذرة.

لكن الخطاب الصهيوني عمل على طمس هذه الحقيقة، إما بإنكار وجود السكان الأصليين كليًا، أو بتقليل أهميتهم ووصفهم بالبدائية والتخلف. هذا الإنكار المنهجي للآخر كان ضروريًا لتبرير المشروع الاستيطاني، إذ كيف يمكن المطالبة بأرض مأهولة دون الاعتراف بظلم احتلالها وطرد سكانها؟

---

[4] - **الكيالي، عبد الوهاب**، *تاريخ فلسطين الحديث*، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة العاشرة، 1999، ص 112–134.

استُخدمت النصوص التوراتية التي تصف دخول بني إسرائيل إلى كنعان القديمة لتبرير الاحتلال الحديث، متجاهلين أن آلاف السنين قد مرت، وأن الشعب الفلسطيني هو استمرار للسكان الأصليين للمنطقة، بما فيهم الكنعانيون أنفسهم الذين اندمجوا مع الشعوب الأخرى عبر التاريخ.

د. توظيف اللاهوت المسيحي الإنجيلي

لم تكتفِ الصهيونية بتحريف النصوص اليهودية، بل استثمرت أيضًا في التيارات المسيحية الإنجيلية، خاصة في بريطانيا والولايات المتحدة، التي تؤمن بتفسيرات ألفية (أخروية) للكتاب المقدس.[5] هذه التيارات، المعروفة بـ "الصهيونية المسيحية"، تعتقد أن عودة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة إسرائيل هي شرط ضروري لعودة المسيح والخلاص الأخروي.

استغلت الحركة الصهيونية هذه المعتقدات، ونجحت في كسب دعم سياسي ومالي كبير من الأوساط المسيحية الإنجيلية، رغم أن هذه المعتقدات تنطوي في نهاية المطاف على تصورات معادية لليهود أنفسهم (إذ تقول النبوءات الإنجيلية إن اليهود سيتحولون للمسيحية أو يهلكون في المعركة الأخروية).

لعب هذا التحالف الغريب بين الصهيونية العلمانية والإنجيليين المسيحيين[6] دورًا حاسمًا في الحصول على وعد بلفور عام 1917، والدعم الغربي المستمر للمشروع الصهيوني. فقد كان كثير من السياسيين البريطانيين والأمريكيين متأثرين بهذه التفسيرات الدينية، مما جعلهم يرون في دعم الصهيونية واجبًا دينيًا وليس مجرد مصلحة سياسية.

هـ. معارضة الصهيونية من داخل اليهودية

من المهم الإشارة إلى أن التحريف الصهيوني للنصوص الدينية لم يمر دون معارضة قوية من داخل الأوساط اليهودية نفسها. فقد رفضت تيارات دينية يهودية كبرى الصهيونية منذ البداية، معتبرة إياها انحرافًا عن اليهودية الحقيقية ومحاولة لاغتصاب الإرادة الإلهية.

من أبرز هذه التيارات الحركة الحريدية (اليهودية الأرثوذكسية المتشددة)، التي ما زال كثير من أتباعها يرفضون الاعتراف بشرعية الدولة الإسرائيلية، ويعتبرون أن العودة الحقيقية إلى صهيون لا يمكن أن تتم إلا بتدخل إلهي مباشر وليس بجهود بشرية. كما رفض المفكرون والحاخامات الإصلاحيون في أوروبا وأمريكا الصهيونية، معتبرين أن اليهودية دين وليست قومية، وأن اليهود يجب أن يندمجوا في مجتمعاتهم ويعملوا على تحقيق العدالة فيها بدلًا من السعي لإقامة دولة منفصلة.

حتى داخل الحركة الصهيونية نفسها، كانت هناك أصوات، مثل الفيلسوف مارتن بوبر والمفكر يهودا ماغنيس، دعت إلى "صهيونية أخلاقية" تحترم حقوق السكان الأصليين وترفض الاستعمار والعنف. لكن هذه الأصوات ظلت هامشية، وانتصرت في النهاية الصهيونية العملية ذات الطابع الاستيطاني العدواني.

<u>المبحث الثاني: التحولات الفكرية في أوروبا الحديثة</u>

شكلت أوروبا الحديثة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مسرحاً لتحولات فكرية وسياسية عميقة أعادت صياغة العلاقات الاجتماعية والهويات الجماعية. وقد انعكست هذه التحولات بشكل مباشر على الجماعات اليهودية الأوروبية، حيث وجدت نفسها في مواجهة تحديات غير مسبوقة أثرت في وعيها الذاتي وخياراتها المستقبلية. يتناول هذا

---

[5] - **الأشهب، محمد علي**، *الصهيونية المسيحية: جذورها في التاريخ ودورها في إقامة إسرائيل*، دمشق: دار النمير، 1999، ص 78–112.

[6] - **الأشهب، محمد علي**، *الصهيونية المسيحية: جذورها في التاريخ ودورها في إقامة إسرائيل*،نفس المرجع السابق، ص145-175.

المطلب محورين أساسيين: معاداة السامية كظاهرة متجددة، والفكر القومي كإطار إيديولوجي جديد، وكيف تفاعل هذان العاملان في تمهيد الطريق أمام ظهور الحركة الصهيونية.

أولاً: معاداة السامية ودورها في تشكيل الوعي اليهودي الجمعي

1. من العداء الديني إلى العداء العرقي: تحول نوعي

عرفت أوروبا المسيحية تاريخاً طويلاً من العداء الديني تجاه اليهود منذ العصور الوسطى، حيث كانوا يُنظر إليهم كمسؤولين عن صلب المسيح،[7] مما أدى إلى عزلهم في أحياء خاصة (الغيتو) ومنعهم من ممارسة معظم المهن باستثناء التجارة والصيرفة.[8] لكن العصر الحديث شهد تحولاً نوعياً في طبيعة هذا العداء.

مع مطلع القرن التاسع عشر، ومع تأثيرات عصر التنوير والثورة الفرنسية، حصل اليهود على حقوق مدنية في عدة دول أوروبية، وهو ما عُرف بـ"التحرر اليهودي .(Jewish Emancipation) "غير أن هذا التحرر القانوني لم يزل الحواجز الاجتماعية والثقافية، بل أثار في كثير من الأحيان ردود فعل معاكسة.

ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر موجة جديدة من معاداة السامية اتخذت طابعاً علمياً زائفاً، مستفيدة من النظريات العرقية التي راجت في ذلك الوقت. لم يعد اليهود مكروهين لأسباب دينية فقط، بل باتوا يُصنفون كـ"عرق" مختلف ودخيل على الحضارة الأوروبية، وهو تصنيف لا يمكن تجاوزه حتى بالتحول الديني أو الاندماج الثقافي.

صاغ الصحفي الألماني فيلهلم مار مصطلح "معاداة السامية (Antisemitismus) "عام 1879، وأسس "رابطة معاداة السامية"، مما أضفى على هذا العداء طابعاً سياسياً منظماً. أصبحت معاداة السامية برنامجاً سياسياً في عدة دول أوروبية، وليست مجرد تحيز اجتماعي عابر.

2. تجليات معاداة السامية في أوروبا الحديثة

أ. قضية دريفوس: صدمة فرنسا المتنورة

في عام 1894،[9] اتُهم الضابط اليهودي ألفريد دريفوس في الجيش الفرنسي زوراً بالتجسس لصالح ألمانيا، وحُكم عليه بالسجن المؤبد. انقسمت فرنسا بين مؤيد ومعارض، وتحولت القضية إلى فضيحة سياسية واجتماعية كبرى كشفت عن جذور عميقة لمعاداة السامية حتى في "مهد الثورة والتنوير[10]."

كان تيودور هرتزل، الصحفي النمساوي اليهودي، يغطي القضية لصحيفة نمساوية، وقد تأثر بشدة بالهتافات المعادية لليهود التي سمعها في شوارع باريس. هذه التجربة دفعته للتفكير في أن الاندماج ليس حلاً نهائياً للمسألة اليهودية، وأن اليهود بحاجة إلى دولة خاصة بهم. بعد عامين، نشر كتابه الشهير "دولة اليهود (Der Judenstaat) "عام 1896.

ب. البوغرومات في الإمبراطورية الروسية

---

[7]- **المسيري، عبد الوهاب.***موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد*.القاهرة: دار الشروق، 1999، ج4،ص 64.

[8]- **نوفل، أحمد سعيد.***تاريخ الصهيونية: من البدايات حتى قيام دولة إسرائيل*.عمّان: دار الجليل للنشر، 2006.ص 78-92.

[9] -Jean-Denis Bredin, *The Affair: The Case of Alfred Dreyfus*, New York: George Braziller, 1986, 123-167 p.

[10]-Ruth Harris, *Dreyfus: Politics, Emotion, and the Scandal of the Century*, New York: Metropolitan Books, 2010, 267 p.

شهدت روسيا وأوروبا الشرقية، حيث كان يعيش أكبر تجمع يهودي في العالم، سلسلة من المذابح الدموية (البوغرومات) بدأت عام 1881 بعد اغتيال القيصر ألكسندر الثاني.[11] اتُهم اليهود بالمسؤولية عن الاغتيال، فانطلقت موجة عنف شعبي ورسمي أسفرت عن مقتل الآلاف وتهجير ملايين آخرين.

واجه اليهود الروس قوانين تمييزية صارمة ضمن ما عُرف بـ"حزام الاستيطان(Pale of Settlement) "، حيث حُصروا في مناطق جغرافية محددة، ومُنعوا من امتلاك الأراضي أو الالتحاق بالجامعات إلا بحصص محدودة. هذا الوضع دفع ملايين اليهود للهجرة، معظمهم إلى الولايات المتحدة، لكن البعض اتجه نحو فلسطين ضمن الموجات الاستيطانية الصهيونية الأولى (العلياه الأولى والثانية)[12].

ج. قوانين ماي ونظام الكوتا[13]

في روسيا، صدرت عام 1882 "قوانين ماي" التي ضيقت الخناق على اليهود، ومنعتهم من الاستقرار في المناطق الريفية وفرضت عليهم قيوداً اقتصادية واجتماعية قاسية. في دول أخرى، فُرضت أنظمة الكوتا (الحصص) التي حددت نسبة قبول اليهود في الجامعات والوظائف الحكومية والمهن الحرة.

3. أثر معاداة السامية على الوعي اليهودي الجمعي

أدت هذه الموجة الجديدة من معاداة السامية إلى تحولات عميقة في الوعي اليهودي الجماعي:

أولاً: أزمة الاندماج والتحرر :أثبتت الأحداث أن التحرر القانوني والاندماج الثقافي لا يضمنان القبول الاجتماعي الفعلي. حتى اليهود المندمجون تماماً في المجتمع الأوروبي، مثل دريفوس، لم يكونوا في مأمن من الاتهام والاضطهاد.

ثانياً: الشعور الدائم بالغربة :رغم قرون من الوجود في أوروبا، استمر اليهود يُنظر إليهم كغرباء ودخلاء، مما عزز لديهم الشعور بعدم الانتماء الكامل وبالحاجة إلى ملاذ آمن[14].

ثالثاً: البحث عن حلول جذرية :بدأ مفكرون يهود في التشكيك في الحلول التقليدية (الاندماج، الانتظار الديني للخلاص)، والبحث عن حلول جديدة تضمن الأمن الجماعي والكرامة. من هنا، ظهرت عدة تيارات فكرية: الاشتراكية اليهودية (البوند)، الهجرة الجماعية، والصهيونية كحل قومي.

رابعاً: تأكيد الهوية اليهودية المميزة :في مواجهة العداء، تعزز الشعور بالخصوصية اليهودية، وبأن اليهود يشكلون جماعة متميزة بحاجة إلى إطار سياسي خاص بها.

ثانياً: بروز الفكر القومي في القرن التاسع عشر وأثره في ولادة الصهيونية

1. القومية: الإيديولوجية المهيمنة في القرن التاسع عشر

---

[11]-John Klier & Shlomo Lambroza (eds.),*Pogroms: Anti-Jewish Violence in Modern Russian History*, Cambridge: Cambridge University Press, 1992, 145 p.

[12] -**Steven J. Zipperstein, *Pogrom: Kishinev and the Tilt of History*, New York: Liveright Publishing, 2018, 167 p.**

[13] -Michael Aronson, *Troubled Waters: The Origins of the 1881 Anti-Jewish Pogroms in Russia*, Pittsburgh: University of Pittsburgh Press, 1990, 189p.

[14]- عبد الوهاب المسيري .*موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية* (المجلد الخامس). القاهرة: دار الشروق، 1999، ص 178.

شهد القرن التاسع عشر ما يمكن تسميته بـ "عصر القوميات" في أوروبا، حيث صعدت القومية كإيديولوجية سياسية مهيمنة أعادت رسم خريطة القارة وهوياتها السياسية.[15] ارتكزت القومية على عدة مبادئ أساسية:

أ. الأمة كجماعة طبيعية :الاعتقاد بأن البشرية مقسمة طبيعياً إلى "أمم" متميزة، تتشارك في اللغة والثقافة والتاريخ والأصل، وأحياناً الدين والعرق.

ب. حق تقرير المصير :لكل أمة الحق الطبيعي في حكم نفسها بنفسها، وفي إقامة دولة مستقلة ذات سيادة على إقليم محدد.

ج. الدولة القومية كإطار سياسي مثالي :الدولة الحديثة يجب أن تعبر عن أمة واحدة متجانسة، بدلاً من الإمبراطوريات متعددة القوميات.

د. الرومانسية القومية :تمجيد الماضي القومي، الأساطير التأسيسية، الأبطال القوميين، واللغة والفلكلور الشعبي، والارتباط العاطفي بالأرض الوطنية.

2. السياق الفكري للقومية الأوروبية

تأثرت القومية الأوروبية بعدة تيارات فكرية:

الرومانسية :التي أكدت على الخصوصية الثقافية لكل شعب، وعلى أهمية التراث الشعبي واللغة الأم، في مواجهة العقلانية التنويرية التي نادت بالقيم الكونية الشاملة[16].

الفلسفة المثالية الألمانية :خاصة أفكار فيخته وهيغل حول الروح القومية (Volksgeist) والدولة كتعبير عن الإرادة الجماعية[17].

الليبرالية السياسية :التي ربطت بين الحرية الفردية والاستقلال القومي، معتبرة أن تحرر الفرد لا يتحقق إلا ضمن أمة حرة ومستقلة.

3. نماذج من الحركات القومية الأوروبية

أ. التوحيد القومي في ألمانيا و إيطاليا

كانت ألمانيا وإيطاليا، حتى منتصف القرن التاسع عشر، مجزأتين إلى عشرات الدويلات الصغيرة. نجحت الحركات القومية في تحقيق الوحدة: إيطاليا عام 1861-1871 بقيادة كافور وغاريبالدي،[18] وألمانيا عام 1871 بقيادة بسمارك تحت التاج البروسي.

---

[15]- إيريك هوبزباوم .*الأمم والقومية منذ عام 1780: البرنامج، الأسطورة، الواقع* .ترجمة فايز الصياغ. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2004، ص 23–56.

[16] -H.S. Reiss. *The Political Thought of the German Romantics (1793–1815).* Oxford: Basil Blackwell, 1955, pp. 123–156.

[17] -Johann Gottlieb Fichte. *Addresses to the German Nation*. Translated by R.F. Jones and G.H. Turnbull. Chicago: Open Court Publishing, 1922 (orig. 1808), pp. 45–78.

[18] -Derek Beales. *The Unification of Italy (1815–1870).* London: Hodder & Stoughton, 1971, pp. 112–145.

شكل هذان النموذجان مثالاً ملهماً للحركات القومية الأخرى، إذ أثبتا إمكانية تحقيق حلم الدولة القومية الموحدة من خلال العمل السياسي والعسكري المنظم. كما قدمت الوحدة الألمانية والإيطالية نموذجاً للجمع بين الخطاب الثقافي القومي والمشروع السياسي العملي.

ب. النضال القومي في أوروبا الشرقية والبلقان

في أوروبا الشرقية، ناضلت شعوب عديدة من أجل الاستقلال عن الإمبراطوريات الكبرى (العثمانية، النمساوية-المجرية، الروسية).[19] حققت اليونان استقلالها عام 1830، تبعتها صربيا وبلغاريا ورومانيا تدريجياً. بولندا، رغم فشل ثوراتها المتكررة (1830، 1863)، ظلت رمزاً للنضال القومي.

هذه الحركات القومية الناشئة قدمت نموذجاً للشعوب التي لا تملك دولة، وأثبتت إمكانية "إحياء" الأمم وبعثها من جديد، وهو درس لم يغب عن المفكرين اليهود.

4. اليهود والسؤال القومي: من جماعة دينية إلى "أمة"

أ. إعادة تعريف اليهودية في ضوء القومية

تقليدياً، عرّف اليهود أنفسهم كجماعة دينية تنتظر الخلاص الإلهي والعودة إلى صهيون.[20] لكن مع صعود القومية، بدأ بعض المفكرين اليهود في إعادة صياغة الهوية اليهودية بمصطلحات قومية علمانية.

اليهود، وفق هذا التصور الجديد، ليسوا مجرد أتباع ديانة، بل "أمة" بالمعنى الأوروبي الحديث: لهم تاريخ مشترك، ذاكرة جماعية، ثقافة متميزة، ولغة خاصة (العبرية)، وارتباط تاريخي بأرض محددة (فلسطين).

ب. موسى هس: الرائد المبكر

يُعتبر موسى هس (1812-1875)، الفيلسوف الاشتراكي الألماني، من الرواد الأوائل للفكر الصهيوني القومي. في كتابه "روما والقدس" (1862)، دعا إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين، مستلهماً من تجربة الوحدة الإيطالية.[21] رأى هس أن حل المسألة اليهودية لا يكون بالاندماج، بل بإقامة كيان قومي يهودي مستقل.

كتب هس: "إن اليهود أمة تاريخية لها الحق في البقاء كأمة، ولن يتحقق ذلك إلا بامتلاكهم وطناً قومياً."

ج. ليو بنسكر و"التحرر الذاتي"

في عام 1882، بعد موجة البوغرومات في روسيا، نشر الطبيب الروسي ليو بنسكر كتيباً بعنوان "التحرر الذاتي-Auto) " (Emancipation، دعا فيه اليهود إلى الاعتماد على أنفسهم وإقامة وطن قومي. جادل بنسكر بأن معاداة السامية مرض نفسي-اجتماعي مزمن لا علاج له في أوروبا، وأن الحل الوحيد هو إنشاء ملجأ قومي لليهود.

---

[19] -Peter F. Sugar & Ivo J. Lederer (eds.). *Nationalism in Eastern Europe*. Seattle: University of Washington Press, 1969, pp. 234–278.

[20] -Nahum N. Glatzer (ed.). *Modern Jewish Thought: A Source Reader*. New York: Schocken Books, 1977, pp. 145–178.

[21] -Moses Hess. *Rome and Jerusalem*. Translated by Meyer Waxman. New York: Bloch Publishing, 1918 (orig. 1862), pp. 67–98.

5. تيودور هرتزل والصهيونية السياسية الحديثة

أ. من الاندماج إلى القومية

تيودور هرتزل (1860-1904)، صحفي نمساوي من عائلة يهودية مندمجة، لم يكن متديناً ولا مهتماً بالمسألة اليهودية في بداية حياته. لكن تغطيته لقضية دريفوس في باريس شكلت نقطة تحول جذرية في تفكيره[22].

أدرك هرتزل أن معاداة السامية ليست ظاهرة عابرة أو قابلة للحل بالاندماج، بل هي مشكلة بنيوية في المجتمع الأوروبي. من هنا، اقتنع بأن اليهود بحاجة إلى دولة خاصة بهم.

ب. "دولة اليهود": المشروع السياسي

في عام 1896، نشر هرتزل كتاباً صغيراً لكن مؤثراً بعنوان "دولة اليهود(Der Judenstaat) "، عرض فيه رؤيته لحل المسألة اليهودية[23]:

- **التشخيص** :معاداة السامية ظاهرة مستعصية، واليهود لن يُقبلوا أبداً كأوروبيين متساوين.
- **الحل** :إقامة دولة يهودية معترف بها دولياً ومحمية بالقانون الدولي.
- **الآلية** :عمل سياسي دبلوماسي منظم للحصول على دعم القوى الكبرى، وإنشاء مؤسسات صهيونية (شركة يهودية، صندوق قومي) لتمويل المشروع.

لم يحدد هرتزل في البداية موقع الدولة بدقة (فلسطين، الأرجنتين، أوغندا)، لكن الرمزية الدينية-التاريخية لفلسطين فرضت نفسها تدريجياً كخيار شبه حتمي.

ج. المؤتمر الصهيوني الأول(1897)

في أغسطس 1897، نظم هرتزل المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية، بحضور حوالي 200 مندوب من مختلف الدول. أُسست في هذا المؤتمر "المنظمة الصهيونية العالمية"،[24] وأُقر "برنامج بازل" الذي نص على:

"تهدف الصهيونية إلى إنشاء وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام."

كتب هرتزل في مذكراته بعد المؤتمر: "في بازل، أسست الدولة اليهودية... ربما بعد خمس سنوات، وبالتأكيد بعد خمسين سنة، سيعترف الجميع بذلك". وبالفعل، بعد 51 عاماً بالضبط، أُعلنت دولة إسرائيل عام 1948.

6. استعارات الصهيونية من القومية الأوروبية

---

[22] -Alex Bein. *Theodor Herzl: A Biography*. Translated by Maurice Samuel. Philadelphia: Jewish Publication Society, 1940, pp. 112.

[23]- تيودور هرتزل .*دولة اليهود: محاولة لحل حديثة للمسألة اليهودية* .ترجمة أحمد عبد الرازق أحمد. القاهرة: دار الشروق، 1997، ص 23.

[24] -Theodor Herzl (compiled by). *The Congress Addresses of Theodor Herzl*. Translated by Nellie Straus. New York: Federation of American Zionists, 1917, pp. 5–23.

اقتبست الصهيونية من النموذج القومي الأوروبي عدة عناصر:

أ. العلمنة :على عكس اليهودية الدينية التقليدية، كانت الصهيونية حركة علمانية أساساً، تنظر إلى اليهود كأمة ثقافية-تاريخية وليس كجماعة دينية فقط[25].

ب. الأرض كعنصر مركزي :اعتبرت فلسطين "الوطن التاريخي" لليهود، في استعارة واضحة من الرومانسية القومية وارتباطها بالأرض.

ج. اللغة القومية :سعت الصهيونية لإحياء اللغة العبرية كلغة حية محكية، على غرار إحياء اللغات القومية في أوروبا (كالتشيكية والمجرية).

د. النموذج الاستعماري :رأى هرتزل وآخرون في المشروع الصهيوني امتداداً "حضارياً" للغرب في الشرق، وسعوا للحصول على دعم القوى الاستعمارية (بريطانيا، ألمانيا، تركيا).

هـ. التنظيم السياسي الحديث :أنشأت الصهيونية مؤسسات حديثة (المنظمة الصهيونية، الصندوق القومي، الوكالة اليهودية) على غرار الأحزاب والمنظمات القومية الأوروبية[26].

الفصل الثاني: تأسيس الحركة الصهيونية الحديثة

---

[25] -Zeev Sternhell. The Founding Myths of Israel: Nationalism, Socialism, and the Making of the Jewish State. Translated by David Maisel. Princeton: Princeton University Press, 1998, pp. 23.

[26] -Michael Berkowitz. *Western Jewry and the Zionist Project (1914–1933)*. Cambridge: Cambridge University Press, 1997, pp. 78–112.

المبحث الأول: ثيودور هرتزل ونشأة المشروع الصهيوني

أولاً: ثيودور هرتزل: السيرة والسياق

1. الخلفية الشخصية والفكرية

وُلد بنيامين زئيف هرتزل (المعروف باسم ثيودور هرتزل) في 2 مايو 1860 في بودابست، عاصمة المجر، في عائلة يهودية برجوازية مندمجة في المجتمع الأوروبي. كان والده، ياكوب هرتزل، تاجرًا ناجحًا، وقد نشأ ثيودور في بيئة علمانية منفتحة، بعيدة عن التدين اليهودي التقليدي. تلقى تعليمًا أوروبيًا حديثًا، ودرس القانون في جامعة فيينا، لكنه سرعان ما هجر مهنة المحاماة ليتجه نحو الصحافة والأدب.

كان هرتزل، في شبابه، متأثرًا بشدة بالثقافة الألمانية والأفكار الليبرالية السائدة في أوروبا الوسطى. لم يكن متدينًا، بل كان يرى في الاندماج الثقافي والاجتماعي لليهود في المجتمعات الأوروبية الحل الأمثل لـ"المسألة اليهودية". لكن هذا الموقف سيتغير جذريًا بعد تجربتين حاسمتين في حياته[27].

2. التحول الفكري: من الاندماج إلى القومية

كانت النقطة الأولى في تحول هرتزل هي احتكاكه المباشر بمعاداة السامية في فيينا، حيث كان يعمل كصحفي. ففي ثمانينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر، شهدت فيينا صعودًا قويًا لخطاب معاداة السامية السياسية، بقيادة شخصيات مثل كارل لويغر، عمدة فيينا المعادي لليهود. أدرك هرتزل أن معاداة السامية لم تكن ظاهرة هامشية أو عابرة، بل كانت متجذرة في البنية الاجتماعية والسياسية الأوروبية.

لكن اللحظة الفاصلة في حياة هرتزل كانت شهادته لقضية "دريفوس" في فرنسا عام 1894. فقد أُرسل هرتزل إلى باريس كمراسل لصحيفة "نويه فرايه بريسه" النمساوية، حيث تابع عن كثب محاكمة الكابتن ألفريد دريفوس، الضابط اليهودي في الجيش الفرنسي الذي اتُهم زورًا بالخيانة العظمى لصالح ألمانيا.

كانت قضية دريفوس فضيحة سياسية وأخلاقية هزت أركان فرنسا، وكشفت عن عمق معاداة السامية حتى في "جمهورية الأنوار" التي كانت تُعتبر رمزًا للتقدم والمساواة. عندما شاهد هرتزل الجماهير الفرنسية تهتف "الموت لليهود" في شوارع باريس، أدرك أن الاندماج ليس حلاً، وأن اليهود لن يكونوا آمنين في أوروبا مهما حاولوا الذوبان في مجتمعاتها.

كتب هرتزل لاحقًا في مذكراته: "في باريس، كما هو واضح، اكتسبتُ حريتي من التفكير السطحي الذي كنتُ أعيش فيه حتى ذلك الحين. لقد أدركتُ أن المسألة اليهودية ليست مسألة اجتماعية ولا دينية... إنها مسألة قومية[28]."

3. "دولة اليهود": البيان التأسيسي

في عام 1896، نشر هرتزل كتابه الأشهر "دولة اليهود: محاولة لحل حديث للمسألة اليهودية .(Der Judenstaat) "كان هذا الكتاب الصغير، الذي لا يتجاوز 90 صفحة، بمثابة البيان التأسيسي للصهيونية السياسية الحديثة. وعلى عكس

---

[27] -**Bein, Alex.** *Theodor Herzl: A Biography.* Philadelphia: The Jewish Publication Society, 1940, pp. 300-320.

[28] -**Penslar, Derek J.** *Theodor Herzl: The Charismatic Leader.* New Haven and London: Yale University Press, 2020, pp. 20-45.

الكتابات الصهيونية السابقة التي كانت ذات طابع ديني أو رومانسي، قدم هرتزل رؤية علمانية وواقعية للمشروع الصهيوني.

طرح هرتزل في كتابه تحليلاً للمسألة اليهودية، مُشخصًا معاداة السامية كظاهرة بنيوية في المجتمعات الأوروبية، ومقترحًا الحل الوحيد: إنشاء دولة يهودية مستقلة تستوعب اليهود من مختلف أنحاء العالم. كتب هرتزل: "نحن شعب واحد... الأعداء يجعلوننا شعبًا واحدًا رغمًا عنا... نحن شعب في ضيق، ولذلك سنصبح شعبًا."

ما ميز رؤية هرتزل هو طابعها العملي والسياسي. لم يكن يتحدث عن حُلم ديني أو عودة مسيانية، بل عن مشروع استعماري حديث يتطلب دعمًا دبلوماسيًا دوليًا، وتمويلاً ماليًا ضخمًا، وتنظيمًا إداريًا محكمًا. اقترح هرتزل إنشاء مؤسستين أساسيتين: "الجمعية اليهودية (Jewish Society) "كهيئة سياسية قانونية تتفاوض مع الدول، و"الشركة اليهودية (Jewish Company) "كأداة اقتصادية لشراء الأراضي وتمويل الهجرة والاستيطان[29].

في البداية، لم يحدد هرتزل فلسطين بالضرورة كموقع للدولة المقترحة. فقد كان منفتحًا على خيارات أخرى، بما في ذلك الأرجنتين أو أي مكان يمكن الحصول عليه بموافقة دولية. لكن الضغوط من التيارات الصهيونية الدينية والثقافية، إضافة إلى الاعتبارات الرمزية والدعائية، دفعته لاحقًا إلى التركيز على فلسطين باعتبارها "أرض الآباء" التي يمكن أن تحشد حولها الدعم اليهودي والمسيحي.

4. النشاط الدبلوماسي: البحث عن الدعم الدولي

بعد نشر "دولة اليهود"، كرّس هرتزل نفسه بالكامل للنشاط السياسي والدبلوماسي. كان يؤمن بأن نجاح المشروع الصهيوني يتطلب حصوله على "ميثاق (Charter) "من قوة عظمى، أي على اعتراف دولي وحماية سياسية لمشروع الاستيطان اليهودي.

طرق هرتزل أبواب الحكام والساسة في أوروبا والدولة العثمانية. التقى بالسلطان العثماني عبد الحميد الثاني، محاولاً إقناعه بالموافقة على استيطان يهودي واسع في فلسطين مقابل تسديد ديون الدولة العثمانية. لكن السلطان رفض بشدة، قائلاً في مذكراته: "إنني لا أستطيع أن أبيع ولو قدمًا واحدة من البلاد، لأنها ليست لي، بل لشعبي... ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإن إمبراطوريتي لو قُسمت فقد يحصلون على فلسطين بلا ثمن، أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بُترت من الدولة الإسلامية."

كما التقى هرتزل بالقيصر الألماني فيلهلم الثاني في القدس عام 1898، على أمل الحصول على الدعم الألماني، لكن دون نتائج ملموسة. التقى أيضًا بمسؤولين بريطانيين وإيطاليين وروس، في محاولات دؤوبة لكسب الدعم الدولي.

رغم الإخفاقات المتكررة، كان نشاط هرتزل الدبلوماسي مهمًا في وضع الصهيونية على الخريطة السياسية الدولية. فقد حوّل الفكرة من مجرد حركة هامشية إلى مشروع سياسي يُناقَش في أروقة السلطة[30].

---

[29] -**Herzl, Theodor.** *Der Judenstaat: Versuch einer modernen Lösung der Judenfrage.* Leipzig und Wien: M. Breitenstein's Verlags-Buchhandlung, 1896, pp. 1-40.

[30] -**Herzl, Theodor.** *The Complete Diaries of Theodor Herzl.* Edited by Raphael Patai. New York: Herzl Press and Thomas Yoseloff, 1960, pp. 581-590.

ثانيًا: مؤتمر بازل (1897) وبداية التنظيم السياسي للصهيونية

1. الدعوة إلى المؤتمر: التحضيرات والسياق

أدرك هرتزل أن تحويل الفكرة الصهيونية إلى واقع يتطلب أكثر من نشاط دبلوماسي فردي؛ يتطلب بناء حركة جماهيرية منظمة ومؤسسات دائمة قادرة على العمل بشكل منهجي. لذلك، قرر الدعوة إلى مؤتمر عالمي يجمع الصهاينة من مختلف أنحاء العالم لوضع برنامج موحد وإنشاء هيكلية تنظيمية.

كانت الدعوة الأولى لعقد المؤتمر في ميونيخ، ألمانيا، لكن الجالية اليهودية الألمانية، وخاصة الحاخامات الإصلاحيين، عارضوا بشدة، خشية أن يؤدي ذلك إلى التشكيك في ولاء اليهود الألمان لوطنهم. هذه المعارضة تعكس الانقسام العميق داخل الجالية اليهودية حول الصهيونية، إذ رأى كثير من اليهود الغربيين أن الصهيونية تهديد لاندماجهم ومواطنتهم.

اضطر هرتزل لنقل المؤتمر إلى مدينة بازل السويسرية، المدينة المحايدة التي كانت أقل حساسية سياسيًا. تم تحديد موعد الانعقاد في 29-31 أغسطس 1897.

2. المؤتمر الصهيوني الأول: الحضور والأجواء

انعقد المؤتمر في قاعة "الكازينو" في بازل، وحضره حوالي 200 مندوب يمثلون حوالي 17 دولة، أغلبهم من أوروبا الشرقية. كانت الأجواء مشحونة بالحماس والشعور بالمهمة التاريخية. أصر هرتزل على أن يرتدي المندوبون ملابس رسمية (فراك أسود وربطة عنق بيضاء)، ليضفي على المؤتمر طابعًا رسميًا ويعطي انطباعًا بأن الصهاينة يتصرفون كممثلين لدولة قيد التأسيس.

كتب هرتزل في مذكراته بعد المؤتمر: "في بازل أسستُ الدولة اليهودية. إذا قلتُ هذا اليوم علنًا، سيُرَد عليّ بضحك عالمي. ربما في خمس سنوات، وبالتأكيد في خمسين سنة، سيرى الجميع ذلك". هذا التنبؤ تحقق بالفعل بعد 50 عامًا بالضبط، مع إعلان قيام إسرائيل عام 1948.

3. برنامج بازل: الأهداف المعلنة[31]

أهم إنجازات المؤتمر كان اعتماد "برنامج بازل(Basel Program) "، وهو الوثيقة التأسيسية التي حددت أهداف الحركة الصهيونية واستراتيجياتها. جاء نص البرنامج مختصرًا ومحسوبًا بعناية:

"هدف الصهيونية هو إنشاء وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام".

لتحقيق هذا الهدف، حدد البرنامج أربع وسائل رئيسية:

1. **تعزيز استيطان فلسطين بالعمال الزراعيين والحرفيين والصناعيين اليهود بطريقة منظمة ومناسبة.**
2. **تنظيم وربط يهود العالم أجمع من خلال مؤسسات محلية ودولية ملائمة، وفقًا لقوانين كل بلد.**
3. **تقوية الشعور اليهودي والوعي القومي اليهودي.**

---

[31] -**Laqueur, Walter.***A History of Zionism: From the French Revolution to the Establishment of the State of Israel.* New York: Schocken Books, 1972, pp. 96.

4. اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على مو افقة الحكومات الضرورية لتحقيق هدف الصهيونية.

كان صياغة البرنامج دقيقة جدًا، وخاضعة لاعتبارات سياسية ودبلوماسية. فقد استُخدم مصطلح "وطن " (Heimstätte)بدلاً من "دولة (Staat) "لتجنب إثارة قلق الدولة العثمانية والقوى الأوروبية. كما أُشير إلى ضرورة الحصول على "القانون العام(public law) "، أي الاعتراف الدولي، مما يعكس إدراك هرتزل أن المشروع يحتاج إلى غطاء شرعي دولي.

4. إنشاء المنظمة الصهيونية العالمية[32]

أنشأ المؤتمر "المنظمة الصهيونية العالمية (World Zionist Organization - WZO) "كإطار تنظيمي دائم للحركة. انتُخب هرتزل رئيسًا للمنظمة، وتم تشكيل لجان تنفيذية ومجلس عام. كان الهيكل التنظيمي مستوحى من هياكل الدولة، بما في ذلك ميزانية منتظمة تُجمع من الاشتراكات (الشيكل الصهيوني) التي يدفعها الأعضاء.

أصبح المؤتمر الصهيوني هيئة تشريعية تجتمع سنويًا (ثم كل سنتين) لمناقشة السياسات واتخاذ القرارات الاستراتيجية. كما تم إنشاء صحف ناطقة باسم الحركة، أهمها "دي فيلت (Die Welt) "التي أسسها هرتزل نفسه.

5. الانقسامات المبكرة داخل الحركة[33]

رغم النجاح الظاهري للمؤتمر، بدأت الانقسامات تظهر داخل الحركة الصهيونية منذ وقت مبكر. كانت هناك ثلاثة تيارات رئيسية:

أ. الصهيونية السياسية (هرتزل) ركزت على العمل الدبلوماسي والحصول على "ميثاق" دولي قبل بدء الهجرة الجماعية. رأى هرتزل أن الاستيطان غير المنظم والعشوائي قد يُضعف الموقف التفاوضي ويثير رد فعل عثماني معاديًا.

ب. الصهيونية العملية (أحاد هعام وآخرون) ركزت على البناء التدريجي من القاعدة: الهجرة الفورية، شراء الأراضي، إنشاء المستوطنات، وبناء مجتمع يهودي في فلسطين يسبق الاعتراف السياسي. رأى هؤلاء أن انتظار الموافقة الدولية قد يستغرق وقتًا طويلاً، وأن الحقائق على الأرض هي الأهم[34].

ج. الصهيونية الثقافية (أحاد هعام) ركزت على إحياء الثقافة واللغة العبرية والهوية اليهودية، معتبرة أن المشروع الصهيوني يجب أن يكون أولاً وقبل كل شيء مشروعًا لنهضة ثقافية وروحية، وليس مجرد حل سياسي أو عملي.

هذه الانقسامات ستستمر طوال تاريخ الحركة الصهيونية، وستؤثر على استراتيجياتها وأولوياتها.

ثالثًا: الأهداف المعلنة والخفية للحركة الصهيونية

1. الخطاب العلني: الأهداف المعلنة

---

[32]-**Sachar, Howard M.***A History of Israel: From the Rise of Zionism to Our Time.* New York: Alfred A. Knopf, 1976, pp. 45–63.

[33]-**Avineri, Shlomo.***The Making of Modern Zionism: The Intellectual Origins of the Jewish State.* New York: Basic Books, 1981, pp. 155–178.

[34] -Avineri, Shlomo. The Making of Modern Zionism: The Intellectual Origins of the Jewish State. New York: Basic Books, 1981, pp. 179.

على المستوى العلني والدعائي، قدمت الحركة الصهيونية نفسها على أنها حركة تحرر قومي تسعى لإنقاذ اليهود من الاضطهاد الأوروبي وتوفير ملجأ آمن لهم. الخطاب المعلن ركز على عدة عناصر[35]:

أ. الهروب من الاضطهاد صورت الصهيونية نفسها كحل إنساني لمعاناة اليهود في أوروبا، خاصة بعد موجات "البوغرومات" في روسيا وبولندا. كان الشعار الشائع: "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، متجاهلاً وجود الفلسطينيين.

ب. النهضة القومية قُدمت الصهيونية كحركة قومية تهدف إلى إحياء الأمة اليهودية وثقافتها ولغتها، على غرار حركات التحرر الوطني الأوروبية في القرن التاسع عشر.

ج. المشروع الحضاري صورت الصهيونية المشروع الاستيطاني في فلسطين كـ"مهمة حضارية" تنقل التقدم الأوروبي إلى منطقة متخلفة. كتب هرتزل في مذكراته: "بالنسبة لأوروبا، سنشكل جزءًا من الجدار ضد آسيا، وسنكون طليعة الحضارة في مواجهة البربرية."

2. الأجندة الخفية: الأهداف غير المعلنة

خلف الخطاب الإنساني والقومي المعلن، كانت للحركة الصهيونية أهداف أكثر جذرية لم تُعلن صراحة في البداية، لكنها تكشفت تدريجيًا من خلال الوثائق الداخلية والممارسات العملية.

أ. التطهير العرقي والترانسفير رغم الشعار المعلن "أرض بلا شعب"، كان قادة الصهيونية يدركون جيدًا وجود السكان الفلسطينيين.[36] الوثائق الداخلية تكشف أنهم ناقشوا منذ البداية فكرة "الترانسفير (Transfer)"، أي نقل السكان الأصليين خارج البلاد.

كتب هرتزل في مذكراته عام 1895: "سنحاول أن ندفع السكان الفقراء [الفلسطينيين] عبر الحدود بهدوء، من خلال تأمين عمل لهم في بلدان العبور، مع منع أي عمل لهم في بلدنا... عملية النقل يجب أن تتم بحذر ومهارة[37]."

ب. الدولة اليهودية الخالصة الهدف النهائي لم يكن مجرد "وطن قومي" مشترك مع السكان الأصليين، بل دولة يهودية خالصة بأغلبية يهودية ساحقة. هذا يتطلب بالضرورة تقليص أعداد الفلسطينيين وزيادة أعداد المستوطنين اليهود.

ج. السيطرة على أكبر مساحة ممكنة رغم أن "برنامج بازل" أشار إلى فلسطين، إلا أن الخرائط الصهيونية المبكرة كانت تشمل مساحات أوسع بكثير من فلسطين التاريخية، لتشمل أجزاء من لبنان وسوريا والأردن وسيناء. كان المشروع توسعيًا منذ البداية.

د. التحالف مع القوى الاستعمارية أدرك هرتزل أن نجاح المشروع يتطلب دعم قوة استعمارية كبرى. كتب في "دولة اليهود": "سنشكل بالنسبة لأوروبا جزءًا من الجدار ضد آسيا، ومركزًا متقدمًا للحضارة في مواجهة البربرية". هذا يعني أن الدولة اليهودية ستكون قاعدة أمامية للمصالح الأوروبية في الشرق الأوسط.

3. الرؤية الكولونيالية للمشروع

---

35 -**Laqueur, Walter.** *A History of Zionism: From the French Revolution to the Establishment of the State of Israel.* New York: Schocken Books, 1972, pp. 120–138.

36-**Pappé, Ilan.** *The Ethnic Cleansing of Palestine.* Oxford: Oneworld Publications, 2006, pp. 12–25.

37 -**Herzl, Theodor.** *The Complete Diaries of Theodor Herzl.* Edited by Raphael Patai. New York: Herzl Press and Thomas Yoseloff, 1960, pp. 88–90.

المشروع الصهيوني كان، في جوهره، مشروعًا استعماريًا استيطانيًا (Settler Colonialism) يشبه المشاريع الاستعمارية في أمريكا وأستراليا وجنوب أفريقيا. العناصر المشتركة تشمل[38]:

- **استيراد مستوطنين** من الخارج لاستعمار الأرض
- **نزع ملكية السكان الأصليين** واستبعادهم اقتصاديًا وسياسيًا
- **خلق و اقع ديموغرافي جديد** يحول الأغلبية الأصلية إلى أقلية
- **استخدام القوة العسكرية** لفرض المشروع والدفاع عنه
- **التحالف مع قوة استعمارية عظمى** للحصول على الحماية والدعم

<u>المبحث الثاني: الدعم الغربي للمشروع الصهيوني</u>

أولاً: التقاء المصالح الاستعمارية بالصهيونية

منذ نشأتها، لم تكن الحركة الصهيونية حركةً معزولة عن السياق الدولي، بل وُلدت وتطوّرت في قلب أوروبا الاستعمارية في أواخر القرن التاسع عشر. كانت القوى الأوروبية الكبرى، ولا سيّما بريطانيا وفرنسا، تبحث آنذاك عن وسائل لترسيخ نفوذها في المشرق العربي بعد انهيار الدولة العثمانية. في هذا السياق، التقت المصالح الاستعمارية الغربية بالأهداف الصهيونية، إذ وجد الغرب في المشروع الصهيوني أداةً متقدمةً تخدم مصالحه في المنطقة[39].

رأت القوى الغربية في إقامة كيان يهودي في فلسطين وسيلةً لتحقيق عدة أهداف استراتيجية:

1. **تفتيت المشرق العربي** ومنع وحدته الجغرافية والسياسية التي كانت تشكل خطرًا على مصالحها.
2. **حماية طريق الهند** –الشريان الحيوي للإمبراطورية البريطانية – عبر إقامة قاعدة موالية في شرق المتوسط.
3. **تحقيق وجود بشري أوروبي الهوى والثقافة** في قلب الشرق الإسلامي، ليكون حاجزًا حضاريًا واستعماريًا دائمًا بين آسيا وأوروبا.

وقد عبّر المفكر الصهيوني "تيودور هرتزل" نفسه عن هذه الوظيفة بقوله" :*سنكون في فلسطين جزءًا من الجدار ضد آسيا، وطليعةً للحضارة في مواجهة البربرية*".
ومن هذا المنطلق، وجدت بريطانيا في المشروع الصهيوني حليفًا استراتيجيًا يخدم مصالحها الجيوسياسية في المنطقة العربية، خاصة مع اقتراب نهاية الحرب العالمية الأولى[40].

ثانيًا: بريطانيا ووعد بلفور(1917)

يُعتبر **وعد بلفور** الصادر في 2 نوفمبر 1917 نقطة التحوّل المفصلية في تاريخ المشروع الصهيوني. ففي خضم الحرب العالمية الأولى، أرسل وزير الخارجية البريطاني **آرثر جيمس بلفور** رسالة إلى اللورد **ليونيل روتشيلد** –أحد أبرز زعماء الحركة الصهيونية – جاء فيها:

---

[38] -**Said, Edward W.** *The Question of Palestine*. New York: Vintage Books, 1979, pp. 17–32.

[39]- عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد**، دار الشروق، القاهرة، 1999، ص45.

[40]- محمد عمارة، الصهيونية والقضية الفلسطينية، دار الشروق، القاهرة، 1986، ص78.

"تنظر حكومة صاحب الجلالة بعين العطف إلى إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذا الهدف، على أن لا يُنتقص من الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين[41]"...

.1خلفيات الوعد

لم يكن الوعد مجرد بادرة تعاطف إنساني مع اليهود كما حاولت بريطانيا أن تُظهره، بل كان قرارًا استعماريًا بامتياز يخدم مصالحها. ويمكن تلخيص دوافع بريطانيا في إصدار هذا الوعد في النقاط التالية:

- **مصلحة سياسية واستراتيجية:**أرادت بريطانيا أن تضمن لنفسها موطئ قدم استراتيجيًا في فلسطين، باعتبارها منطقة حساسة تربط قناة السويس بالهلال الخصيب.
- **كسب التأييد اليهودي العالمي:**سعت بريطانيا إلى استمالة الرأي العام اليهودي، خاصة في الولايات المتحدة وروسيا، لدعم مجهودها الحربي ضد ألمانيا.
- **توظيف الصهيونية لخدمة أهدافها الاستعمارية:**كانت بريطانيا تدرك أن قيام وطن لليهود في فلسطين تحت إشرافها سيجعل هذا الكيان تابعًا لها سياسيًا واقتصاديًا، مما يضمن بقاء النفوذ البريطاني طويلًا في المنطقة.

.2النتائج المترتبة عن الوعد

كان لوعد بلفور نتائج عميقة تمثلت في:

- **إضفاء الشرعية الدولية على المشروع الصهيوني**، وتحويله من حلم إلى سياسة رسمية لقوة عظمى.
- **فتح الباب أمام الهجرة اليهودية المنظمة إلى فلسطين** تحت الحماية البريطانية.
- **إرساء الأساس القانوني والسياسي لقيام دولة إسرائيل لاحقًا** بعد عام 1948.
- **تهميش الشعب الفلسطيني** وإنكار وجوده الوطني، إذ تعاملت بريطانيا مع فلسطين وكأنها أرض بلا شعب، في انسجام تام مع الدعاية الصهيونية.

ثالثًا: الدعم الغربي بعد بلفور

لم يتوقف الدعم الغربي عند حدود بريطانيا، بل امتد ليشمل دولًا أوروبية أخرى والولايات المتحدة لاحقًا. فقد:

- وفّرت **فرنسا** دعمًا دبلوماسيًا للحركة الصهيونية في مراحلها الأولى، خاصة بعد الحرب العالمية الأولى.
- أبدت **الولايات المتحدة**، تحت تأثير الحركة الصهيونية الأمريكية، تأييدًا متزايدًا للمشروع منذ عشرينيات القرن الماضي، ثم أصبحت الراعي الأكبر له بعد الحرب العالمية الثانية.
- كما لعبت **عصبة الأمم** (1922)دورًا خطيرًا حين منحت بريطانيا "الانتداب على فلسطين"، متضمنًا نص وعد بلفور، مما أضفى طابعًا قانونيًا دوليًا على المشروع الصهيوني.

[41]- محمود شيت خطاب، الاستعمار الصهيوني لفلسطين، دار الفكر العربي، القاهرة، 1970، ص25.

وهكذا، تبلور الدعم الغربي للحركة الصهيونية ضم[42]ن رؤية استعمارية شاملة هدفت إلى إعادة رسم خريطة المشرق العربي بما يخدم المصالح الأوروبية والغربية. وكان هذا الدعم هو الركيزة الأساسية التي مكّنت الحركة الصهيونية من الانتقال من فكرة إلى كيان سياسي قائم على الأرض.

الفصل الثالث: الموقف الإسلامي والعربي من الصهيونية

المبحث الأول: الموقف الفكري والعقائدي الاسلامي

أولاً: نظرة الإسلام إلى اليهود كأهل كتاب

يتميز الموقف الإسلامي من اليهود بالوضوح والتوازن، حيث يقوم على أساسين متكاملين:

.1الأساس العقائدي

اعترف الإسلام باليهود كأهل كتاب،[43] وأقر بأصل رسالتهم السماوية، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة: 136]. وهذا الاعتراف يتضمن:

- **الإيمان بأنبيائهم** :موسى وداود وسليمان عليهم السلام هم أنبياء في العقيدة الإسلامية.
- **احترام كتبهم الأصلية** :التوراة والزبور قبل التحريف.
- **الحقوق الدينية** :حرية ممارسة شعائرهم في ظل الدولة الإسلامية.
- **الحماية والذمة** :كفل الإسلام لليهود حق الحماية والأمان مقابل الجزية.

.2التمييز بين العقيدة والسياسة

يفرق الإسلام بوضوح بين[44]:

أ. الموقف الديني من اليهود:

- احترام حقهم في العبادة والاعتقاد
- المعاملة بالعدل والقسط: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: 8]
- عدم الإكراه في الدين: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]

ب. الموقف السياسي من الاعتداء والغدر:

- رفض الاحتلال والاستيطان مهما كان مصدره

---

[42] - Arthur Hertzberg, The Zionist Idea: A Historical Analysis and Reader, Jewish Publication Society, Philadelphia, 1959, pp205.

[43]-طنطاوي، محمد سيد .*أهل الكتاب في القرآن والسنة* .القاهرة: دار الشروق، 1988، ص 67-73.

[44]-الباش، حسن .*الإسلام واليهود: رؤية عقائدية وسياسية* .بيروت: مؤسسة الرسالة، 1992، ص 112-128.

- مواجهة الظلم والعدوان: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2]
- نقد السلوك السياسي لا الهوية الدينية

.3النقد القرآني للانحرافات اليهودية

تناول القرآن الكريم بعض الانحرافات التي وقع فيها بنو إسرائيل تاريخياً[45]:

- **التحريف** :﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء: 46]
- **نقض العهود** :﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ [المائدة: 13]
- **الاستكبار والعنصرية** :الادعاء بأنهم شعب الله المختار دون غيرهم
- **العلو والإفساد في الأرض** :﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: 4]

هذا النقد موجه للسلوك والممارسات وليس للعرق أو الأصل الديني، وهو ما يؤكد الفرق بين الموقف العقائدي والموقف السياسي.

ثانياً: موقف العلماء والمفكرين المسلمين من المشروع الصهيوني

.1الموقف المبكر (أواخر القرن التاسع عشر - 1920)

أ. جمال الدين الأفغاني:(1838-1897)

- حذر مبكراً من المخططات الاستعمارية في فلسطين[46]
- ربط بين الاستعمار الغربي والمشروع الصهيوني
- دعا إلى الوحدة الإسلامية كسبيل لمواجهة الأخطار

ب. محمد عبده:(1849-1905)

- رفض الادعاءات الصهيونية بالحق التاريخي في فلسطين
- أكد على عروبة فلسطين وإسلاميتها
- دعا إلى الإصلاح الداخلي لتقوية الأمة

ج. محمد رشيد رضا:(1865-1935)

- كتب مقالات تحذيرية عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين
- فضح المخططات الصهيونية في مجلة "المنار"
- دعا إلى اليقظة العربية والإسلامية

---

[45]- الذهبي، محمد حسين .*الإسرائيليات في التفسير والحديث* .القاهرة: مكتبة وهبة، 2000، ص 89-104.

[46]- عمارة، محمد (تحقيق) .*جمال الدين الأفغاني: الأعمال الكاملة* .القاهرة: دار الشروق، 2002، ص 234-245.

.2موقف العلماء في فترة الانتداب(1920-1948)

أ. الشيخ أمين الحسيني (مفتي فلسطين)[47]:

- قاد المقاومة الفكرية والشعبية ضد الصهيونية
- نظم المؤتمرات الإسلامية لفضح المخططات الصهيونية
- دعا إلى المقاومة الشاملة للمشروع الاستيطاني

ب. علماء الأزهر الشريف:

- أصدروا فتاوى بتحريم بيع الأراضي لليهود
- أكدوا على وجوب الدفاع عن فلسطين
- اعتبروا القضية الفلسطينية قضية إسلامية عامة[48]

ج. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

- قادها الشيخ عبد الحميد بن باديس
- دعمت القضية الفلسطينية إعلامياً ومادياً
- ربطت بين تحرير فلسطين والتحرر من الاستعمار

.3الموقف الفكري المعاصر (بعد 1948)

أ. سيد قطب:(1906-1966)

- كتب "معركتنا مع اليهود" محللاً الصراع[49]
- ميز بين اليهود كدين والصهيونية كحركة سياسية
- أكد على البعد العقائدي في الصراع

ب. مالك بن نبي:(1905-1973)

- حلل "مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"
- ربط الهزيمة أمام الصهيونية بالتخلف الحضاري
- دعا إلى بناء الحضارة كشرط للنصر[50]

---

[47]- جبارة، تيسير .*الحاج أمين الحسيني: مفتي فلسطين* .بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1987، ص 112-134.

[48]- البيومي، محمد رجب .*الأزهر والقضية الفلسطينية* .القاهرة: دار الاعتصام، 1989، ص 67-89.

[49]- قطب، سيد .*معركتنا مع اليهود* .القاهرة: دار الشروق، 1970 (الطبعة الأولى 1951)، ص 23-45.

[50]- بن نبي، مالك .*مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي* .دمشق: دار الفكر، 1988، ص 89-112.

ج. الشيخ محمد الغزالي:(1917-1996)

- كتب "الإسلام والاستبداد السياسي"
- انتقد الأنظمة العربية المتخاذلة
- أكد على واجب المسلمين في تحرير فلسطين

د. الدكتوريوسف القرضاوي[51]:

- أفتى بوجوب الجهاد لتحرير فلسطين
- أسس هيئات لدعم القضية الفلسطينية
- أكد على شمولية القضية (عربية وإسلامية)

.4الثوابت الفكرية الإسلامية في مواجهة الصهيونية

أ. رفض الأساس الديني للصهيونية[52]:

- الوعد الإلهي المزعوم لا يبرر الاحتلال
- لا يوجد حق ديني في اغتصاب الأرض
- الدين لا يمنح امتيازات سياسية

ب. التأكيد على إسلامية القدس:

- المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين
- الإسراء والمعراج يربط الأمة بالقدس
- فلسطين أرض مباركة في القرآن الكريم

ج. رفض التطبيع:

- لا سلام مع محتل غاصب
- التطبيع خيانة للقضية
- المقاومة حق مشروع

---

[51]- القرضاوي، يوسف .*فقه الجهاد: دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته* .القاهرة: مكتبة وهبة، 2009، ص 567-589 (فصل "الجهاد في فلسطين").

[52]-الندوة العالمية للشباب الإسلامي .*الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة* .الرياض: دار الندوة العالمية، 1997، ص 278-295 (باب "الصهيونية").

د. الدعوة إلى الوحدة:

- القضية قضية أمة لا دولة
- الوحدة الإسلامية طريق التحرير
- التضامن العربي الإسلامي واجب شرعي

<u>المبحث الثاني: الموقف السياسي العربي والاسلامي</u>

أولاً: ردود الفعل العربية قبل إعلان دولة الاحتلال(1948)

.1المرحلة المبكرة(1897-1917)

أ. الموقف العثماني:

- رفض السلطان عبد الحميد الثاني عرض هرتزل لشراء فلسطين[53](1901)
- قال السلطان: "لا أستطيع أن أبيع ولو قدماً واحدة من البلاد، لأنها ليست لي بل لشعبي[54]"
- فرض قيوداً على الهجرة اليهودية والتملك في فلسطين
- أصدر قانون الأراضي العثماني (1858) لحماية الملكية

ب. الموقف الشعبي الفلسطيني:

- معارضة الهجرة اليهودية المنظمة
- مقاومة بيع الأراضي للمستوطنين
- تشكيل جمعيات ونوادي لمواجهة الخطر

.2فترة الانتداب البريطاني(1917-1948)

أ. الثورات والانتفاضات:

ثورة 1920 (ثورة النبي موسى):

- اندلعت في القدس رداً على وعد بلفور[55]
- قادها موسى كاظم الحسيني
- أسفرت عن مواجهات دامية مع البريطانيين

ثورة 1929 (ثورة البراق):

---

[53]- سعيد، أمين .*السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين* .القاهرة: دار الكتاب العربي، 1960، ص 89.

[54]- حرب، محمد (ترجمة) .*مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني* .دمشق: دار القلم، 1991، ص 234.

[55]- محمود، عبد الرحيم .*الثورة العربية الكبرى في فلسطين 1936-1939* .بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1989، ص 234.

- سببها محاولات اليهود السيطرة على حائط البراق
- امتدت لكافة المدن الفلسطينية
- دليل على الوعي الشعبي المبكر بالخطر

ثورة 1936-1939 (الثورة الكبرى):

- أطول ثورة فلسطينية ضد الاستعمار والصهيونية
- بدأت بإضراب شامل استمر 6 أشهر
- قادها عز الدين القسام ثم استشهد(1935)
- شارك فيها مقاتلون من سوريا والعراق
- أجبرت بريطانيا على إرسال لجنة بيل[56](1937)

ب. المو اقف الدبلوماسية:

المؤتمرات الفلسطينية:

- المؤتمر الفلسطيني الأول (1919): رفض وعد بلفور
- سلسلة مؤتمرات طالبت بإلغاء الانتداب
- إرسال وفود إلى بريطانيا وعصبة الأمم

اللجنة العربية العليا:(1936)

- تشكلت لقيادة النضال الوطني
- ضمت كافة الفصائل الفلسطينية
- قادت المفاوضات مع البريطانيين

.3الموقف العربي الرسمي(1936-1948)

أ. الدعم العربي للثورة الفلسطينية:

- مشاركة متطوعين من سوريا ولبنان والعراق
- دعم مالي من الدول العربية
- حملات إعلامية لفضح الممارسات الصهيونية

ب. مؤتمر بلودان[57]:(1937)

[56]- حمودة، سميح .*عز الدين القسام: حياته وجهاده* .عمّان: دار الجليل، 1986، ص 189-212.

- عُقد في سوريا برئاسة نوري السعيد
- حضره ممثلون عن 450 جمعية عربية
- رفض مشروع تقسيم فلسطين
- دعا إلى مقاطعة البضائع الصهيونية

ج. مؤتمر القاهرة:(1938)

- حضرته وفود من كافة الدول العربية
- أكد على عروبة فلسطين
- رفض الهجرة اليهودية غير المحدودة

د. جامعة الدول العربية:(1945)

- أنشأت قسماً خاصاً بفلسطين
- اعتبرت القضية الفلسطينية قضية عربية مركزية
- دعمت المقاومة الفلسطينية مادياً ومعنوياً

.4موقف الدول العربية من قرار التقسيم[58](1947)

أ. الرفض الرسمي:

- رفضت كافة الدول العربية القرار 181
- اعتبرته انتهاكاً للقانون الدولي
- أكدت على حق الفلسطينيين في أرضهم

ب. الاستعدادات العسكرية:

- تشكيل جيش الإنقاذ العربي
- إرسال متطوعين ومساعدات
- التنسيق بين الجيوش العربية

ج. المو اقف الشعبية:

- مظاهرات حاشدة في العواصم العربية

---

[57]- سخنيني، عصام .*الموقف العربي من القضية الفلسطينية 1918-1948* .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994، ص 167.

[58]- خليل، محمد .*جامعة الدول العربية والقضية الفلسطينية* .القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1985، ص 89-112.

- حملات تبرع لدعم فلسطين
- تطوع الآلاف للقتال

ثانياً: ردود الفعل بعد إعلان دولة الاحتلال[59](1948)

.1حرب 1948 (النكبة)

أ. الدخول العربي:

- دخلت سبع جيوش عربية فلسطين (15 مايو 1948)
- مصر، الأردن، سوريا، لبنان، العراق، السعودية، اليمن
- جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي

ب. نتائج الحرب:

- احتلال إسرائيل 78% من أرض فلسطين
- تهجير 750,000 فلسطيني (النكبة)
- تدمير 531 قرية فلسطينية
- مذابح صهيونية (دير ياسين، الطنطورة، اللد)

ج. أسباب الفشل:

- عدم التنسيق بين الجيوش العربية
- نقص التسليح والتدريب
- خيانة بعض القيادات
- التفوق الصهيوني عسكرياً ومالياً
- الدعم الغربي لإسرائيل

.2فترة الخمسينيات والستينيات

أ. الموقف المصري (عهد عبد الناصر)[60]:

- تبنى القضية الفلسطينية كقضية مركزية
- أغلق مضيق تيران أمام السفن الإسرائيلية

---

[59]- الخالدي، وليد .*النكبة الفلسطينية والفردوس المفقود* .بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1998، ص 156.

[60]- صايغ، فايز .*عبد الناصر والقضية الفلسطينية* .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987، ص 123.

- دعم حركات المقاومة الفلسطينية
- قاد مشروع الوحدة العربية

ب. نشأة حركة فتح[61]:(1959)

- أسسها ياسر عرفات وخليل الوزير
- اعتمدت على الكفاح المسلح
- أطلقت أول عملية عسكرية(1965)

ج. تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية:(1964)

- أسست في القمة العربية بالقاهرة
- أحمد الشقيري أول رئيس لها
- الميثاق الوطني الفلسطيني

.3حرب 1967 (النكسة)

أ. الأحداث:

- احتلال إسرائيل الضفة الغربية وغزة والجولان وسيناء[62]
- تهجير 300,000 فلسطيني جديد
- احتلال القدس الشرقية

ب. التداعيات:

- صدور قرار مجلس الأمن 242
- صعود المقاومة المسلحة
- انطلاق الثورة الفلسطينية المعاصرة

ج. معركة الكرامة:(1968)

- صمود الفدائيين أمام الجيش الإسرائيلي
- رمز للمقاومة الفلسطينية
- زيادة التطوع في صفوف المقاومة

---

[61]-**الدجاني، أحمد.***حركة فتح: النشأة والمسار* .بيروت: دار الطليعة، 1989، ص 45-78.

[62]- **نصر، صلاح.***حرب حزيران: دراسة تحليلية* .القاهرة: دار الشروق، 1989، ص 234.

.4السبعينيات والثمانينيات

أ. حرب أكتوبر 1973[63]:

- انتصار عسكري عربي
- استعادة جزء من الثقة بالنفس
- إعادة فتح قناة السويس

ب. الاعتراف الدولي بمنظمة التحرير:

- خطاب ياسر عرفات في الأمم المتحدة(1974)
- الاعتراف بـ م.ت.ف كممثل شرعي وحيد

ج. الحرب الأهلية اللبنانية:

- وجود فلسطيني مؤثر في لبنان
- مذبحة صبرا وشاتيلا(1982)
- خروج المقاومة من بيروت

د. الانتفاضة الأولى:(1987-1993)

- انتفاضة شعبية شاملة
- الحجارة في مواجهة الدبابات
- ولادة حركة حماس(1987)

.5التسعينيات (مرحلة التسوية)

أ. مؤتمر مدريد[64]:(1991)

- أول مفاوضات مباشرة عربية إسرائيلية
- مشاركة فلسطينية ضمن الوفد الأردني

ب. اتفاق أوسلو:(1993)

- توقيع إعلان المبادئ
- إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية

---

[63]- **الشاذلي، سعد الدين.** *حرب أكتوبر: المواجهة والنصر* .القاهرة: دار الشروق، 1992، ص 178.

[64]- **العالم، محمود.** *مؤتمر مدريد وعملية السلام* .القاهرة: مركز الدراسات الاستراتيجية، 1993، ص 89-112.

- خلافات حول الاتفاق (رافضون ومؤيدون)

ج. معاهدة وادي عربة:(1994)

- سلام بين الأردن وإسرائيل
- جدل عربي حول التطبيع

.6الألفية الثالثة

أ. انتفاضة الأقصى[65]:(2000-2005)

- اندلعت بعد زيارة شارون للأقصى
- عمليات استشهادية ضد الاحتلال
- قمع إسرائيلي وحصار

ب. حروب غزة:

- حرب 2008-2009 (الفرقان)
- حرب 2012 (عمود السحاب)
- حرب 2014 (العصف المأكول)
- حرب 2021 (سيف القدس)
- طوفان الأقصى 2023

ج. الموقف العربي الرسمي المتغير:

- اتفاقيات إبراهيم(2020)
- تطبيع الإمارات والبحرين والسودان والمغرب
- انقسام عربي حول القضية

ثالثاً: البعد الحضاري في مواجهة الصهيونية[66]

.1البعد الفكري

أ. الإنتاج الفكري:

الكتابات التحليلية:

---

[65]- **رباني، معين.***انتفاضة الأقصى: الأسباب والتداعيات* .بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2002، ص 123-156.

[66]- **دروزة، محمد عزة.***القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها* .صيدا: المكتبة العصرية، 1959 (الطبعة الثانية)، مقدمة الكتاب.

- "القضية الفلسطينية" لمحمد عزة دروزة
- "تاريخ الصهيونية" لعبد الوهاب المسيري
- "الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ" لعبد الوهاب المسيري
- "فلسطين: التاريخ المصور" لطريف الخالدي

الدراسات الأكاديمية:

- مراكز بحثية متخصصة في القضية الفلسطينية
- رسائل جامعية ودراسات معمقة
- مؤتمرات علمية سنوية

ب. التنظير للمقاومة:

- أدبيات حركات المقاومة
- الفكر الاستراتيجي للنضال
- نظريات التحرير الوطني

ج. فضح الرواية الصهيونية:

- تفنيد الادعاءات التاريخية
- كشف المجازر والجرائم
- توثيق النكبة والتهجير

.2البعد الثقافي والإعلامي

أ. الأدب الفلسطيني:

الشعر:

- محمود درويش: "سجل أنا عربي"، "عابرون في كلام عابر[67]"
- سميح القاسم: "الموت الكبير"
- توفيق زياد: "أنا من هناك"
- فدوى طوقان: "أخي إبراهيم"

الرواية:

[67]- **درويش، محمود.***الأعمال الشعرية الكاملة* .بيروت: دار العودة، ولندن: رياض الريس، 1994، المجلد الأول، ص 23-45.

- غسان كنفاني: "رجال في الشمس"، "عائد إلى حيفا[68]"
- إميل حبيبي: "المتشائل"
- جبرا إبراهيم جبرا: "صيادون في شارع ضيق"

ب. الفن التشكيلي:

- إسماعيل شموط: لوحات النكبة والمقاومة
- ناجي العلي: شخصية حنظلة الأيقونية
- فن الجداريات في مخيمات اللاجئين

ج. الإعلام المقاوم:

- القنوات الفضائية الداعمة للقضية
- المواقع الإلكترونية والمنصات الرقمية
- وسائل التواصل الاجتماعي

د. السينما[69]:

- أفلام وثائقية عن النكبة
- أفلام روائية عن المقاومة
- الإنتاج الفلسطيني المستقل

.3المقاومة المسلحة[70]

أ. الفصائل الفلسطينية:

حركة فتح:

- الكفاح المسلح منذ 1965
- العمليات النوعية ضد الاحتلال
- القاعدة الشعبية الواسعة

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين:

---

[68]- كنفاني، غسان .*رجال في الشمس* .بيروت: دار الطليعة، 1963، الغلاف والمقدمة.

[69]- خليفي، جورج .*السينما الفلسطينية: التاريخ والذاكرة* .بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، بدون تاريخ نشر محدد.

[70]- نصر الله، عبد القادر .*المقاومة الفلسطينية: تطورها وأساليبها* .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990، ص 112–158.

- التوجه الماركسي
- العمليات الخارجية
- القاعدة النضالية

حركة حماس[71]:

- المقاومة الإسلامية
- عمليات استشهادية وصاروخية
- الحكم في قطاع غزة(2007)
- عملية طوفان الأقصى(2023)

حركة الجهاد الإسلامي:

- التركيز على المقاومة المسلحة
- العمليات النوعية
- التحالف مع حماس

ب. أشكال المقاومة[72]:

- العمليات الفدائية
- الحرب الصاروخية
- المواجهات الميدانية
- حرب الأنفاق

.4المقاومة الشعبية

أ. الانتفاضات:

- انتفاضة الحجارة(1987)
- انتفاضة الأقصى(2000)
- هبة القدس(2021)
- انتفاضة الكرامة (مستمرة)

[71]- هنية، إسماعيل .*حماس والمقاومة الإسلامية في فلسطين* .بيروت: دار المعرفة، 2010، ص 23–65.

[72]- الشريف، أحمد .*الفدائيون الفلسطينيون: صفحات من الكفاح المسلح* .عمان: دار مجدلاوي، 1995، ص 33–74.

ب. المقاومة السلمية:

- المسيرات الاحتجاجية
- مقاطعة البضائع الإسرائيلية(BDS)
- الحملات الحقوقية الدولية
- الدبلوماسية الشعبية

ج. الصمود[73]:

- التمسك بالأرض
- البناء في المناطق المهددة
- حماية المقدسات
- المرابطة في الأقصى

.5البعد القانوني والحقوقي

أ. النضال القانوني[74]:

- رفع قضايا ضد الاحتلال في المحاكم الدولية
- الانضمام للمعاهدات الدولية
- فضح جرائم الحرب الإسرائيلية

ب. المنظمات الحقوقية[75]:

- الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان
- مركز الميزان لحقوق الإنسان
- الحق (القانون في خدمة الإنسان)
- مركز المعلومات الوطني الفلسطيني

ج. التقارير الدولية:

- توثيق الانتهاكات الإسرائيلية
- فضح سياسة الأبارتهايد

---

[73]- التميمي، عبد الله .*ثقافة الصمود الفلسطيني: الأرض والهوية والمقدسات* .القدس: دار الهدى، 2015، ص 14–61.

[74]- قنديل، عبد اللطيف .*القانون الدولي وحقوق الشعب الفلسطيني* .القاهرة: دار النهضة العربية، 2012، ص 33–84.

[75]- الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان .*التقرير السنوي حول حالة حقوق الإنسان في فلسطين 2023* .رام الله: الهيئة المستقلة، 2024، ص 9.

- المطالبة بمحاكمة مجرمي الحرب

.6البعد التربوي والتعليمي

أ. الحفاظ على الهوية:

- تدريس التاريخ الفلسطيني
- غرس القيم الوطنية
- تعليم اللغة العربية

ب. توعية الأجيال[76]**:**

- نقل ذاكرة النكبة
- تعلـــــــــــــــــــــــــــيم حـــــــــــــــــــــــــــق

[76]- النجار، فؤاد. *الذاكرة الجماعية الفلسطينية: النكبة في الخطاب التربوي والإعلامي*. عمان: دار الجليل، 2019، ص 25–71.

الخاتمة

من خلال دراسة جذور الصهيونية، يتضح أنّ هذه الحركة لم تنشأ فجأة، بل هي نتاج **تراكمات دينية وفكرية وتاريخية** امتدت عبر قرون طويلة. فقد شكلت **المعتقدات اليهودية القديمة** حول "الشعب المختار" و"أرض الميعاد" الأساس العقدي الأول الذي غذّى النزعة الانعزالية لدى اليهود، ثم جاءت **التحولات الفكرية والسياسية في أوروبا الحديثة**، مثل صعود القوميات والاستعمار الحديث، لتمنح الصهيونية بعدها السياسي والتنظيمي.

وقد لعب **تيودور هرتزل** دورًا حاسمًا في تحويل الفكرة إلى **مشروع سياسي منظم** يسعى لإقامة كيان يهودي في فلسطين، مستفيدًا من **الدعم الغربي الاستعماري** الذي رأى في الصهيونية وسيلة لتحقيق مصالحه في الشرق الأوسط. وهكذا التقت المصالح الاستعمارية الأوروبية بالمطامع الصهيونية في مشروع واحد هدفه السيطرة على المنطقة وتفكيك وحدتها.

أما **الموقف الإسلامي والعربي**، فقد تميز بالرفض التام لهذا المشروع، سواء من منطلقات دينية ترفض اغتصاب الأرض واستعباد الشعوب، أو من مواقف سياسية سعت إلى مواجهة الخطر الصهيوني عبر المقاومة أو العمل الدبلوماسي. ورغم التحديات، ظلّ الوعي بخطورة المشروع الصهيوني حاضرًا في ضمير الأمة، مما جعل القضية الفلسطينية رمزًا للصراع بين **الحق والباطل، والحرية والاستعمار**.

ختامًا، يمكن القول إنّ فهم جذور الصهيونية ليس مجرد دراسة لتاريخ حركة سياسية، بل هو **فهم لطبيعة مشروع استعماري فكري وعقائدي** ما زال يلقي بظلاله على واقعنا المعاصر. ومن هنا تأتي أهمية الوعي التاريخي والفكري لمواجهة هذا المشروع، ودعم كل الجهود الفكرية والسياسية الرامية إلى حماية الأرض والهوية العربية والإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الدينية

1. **الكتاب المقدس (العهد القديم)**، سفر التكوين (الإصحاحات 12–50)، سفر الخروج (الإصحاح 19)، سفر التثنية (الإصحاح 28)، سفر اللاويين (الإصحاح 19)، ترجمة فانديك العربية، بيروت: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1865.

ثانياً: المراجع العربية

أ. الكتب

2. **الأشهب، محمد علي**، *الصهيونية المسيحية: جذورها في التاريخ ودورها في إقامة إسرائيل*، دمشق: دار النمير، 1999.
3. **الباش، حسن**، *الإسلام واليهود: رؤية عقائدية وسياسية*، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1992.
4. **بن نبي، مالك**، *مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي*، دمشق: دار الفكر، 1988.
5. **البيومي، محمد رجب**، *الأزهر والقضية الفلسطينية*، القاهرة: دار الاعتصام، 1989.
6. **جبارة، تيسير**، *الحاج أمين الحسيني: مفتي فلسطين*، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1987.
7. **حرب، محمد (ترجمة)**، *مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني*، دمشق: دار القلم، 1991.
8. **حمودة، سميح**، *عز الدين القسام: حياته وجهاده*، عمّان: دار الجليل، 1986.
9. **خليفي، جورج**، *السينما الفلسطينية: التاريخ والذاكرة*، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات.
10. **الخالدي، وليد**، *النكبة الفلسطينية والفردوس المفقود*، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1998.
11. **الدجاني، أحمد**، *حركة فتح: النشأة والمسار*، بيروت: دار الطليعة، 1989.
12. **دروزة، محمد عزة**، *القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها*، صيدا: المكتبة العصرية، 1959 (الطبعة الثانية).
13. **الذهبي، محمد حسين**، *الإسرائيليات في التفسير والحديث*، القاهرة: مكتبة وهبة، 2000.
14. **سخنيني، عصام**، *الموقف العربي من القضية الفلسطينية 1918-1948*، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994.
15. **سعيد، أمين**، *السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين*، القاهرة: دار الكتاب العربي، 1960.
16. **صايغ، فايز**، *عبد الناصر والقضية الفلسطينية*، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987.
17. **طنطاوي، محمد سيد**، *أهل الكتاب في القرآن والسنة*، القاهرة: دار الشروق، 1988.
18. **عمارة، محمد**، *الصهيونية والقضية الفلسطينية*، القاهرة: دار الشروق، 1986.
19. **عمارة، محمد (تحقيق)**، *جمال الدين الأفغاني: الأعمال الكاملة*، القاهرة: دار الشروق، 2002.
20. **الفاروقي، إسماعيل راجي**، *أصول الصهيونية في الدين اليهودي*، عمان: دار البشير، 1988 (الطبعة العربية عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، 1986).
21. **قطب، سيد**، *معركتنا مع اليهود*، القاهرة: دار الشروق، 1970 (الطبعة الأولى 1951).
22. **القرضاوي، يوسف**، *فقه الجهاد: دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته*، القاهرة: مكتبة وهبة، 2009.
23. **الكيالي، عبد الوهاب**، *تاريخ فلسطين الحديث*، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة العاشرة، 1999.

24. **كنفاني، غسان**، *رجال في الشمس*، بيروت: دار الطليعة، 1963.

25. **محمود، عبد الرحيم**، *الثورة العربية الكبرى في فلسطين 1936-1939* ، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1989.

26. **المسيري، عبد الوهاب**، *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد*، القاهرة: دار الشروق، 1999، (8 مجلدات).

27. **نصرالله، عبد القادر**، *المقاومة الفلسطينية: تطورها وأساليبها*، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990.

28. **الندوة العالمية للشباب الإسلامي**، *الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة*، الرياض: دار الندوة العالمية، 1997.

29. **نوفل، أحمد سعيد**، *تاريخ الصهيونية: من البدايات حتى قيام دولة إسرائيل*، عمّان: دار الجليل للنشر، 2006.

30. **هرتزل، تيودور**، *دولة اليهود: محاولة لحل حديثة للمسألة اليهودية* ، ترجمة أحمد عبد الرازق أحمد، القاهرة: دار الشروق، 1997.

31. **هنية، إسماعيل**، *حماس والمقاومة الإسلامية في فلسطين*، بيروت: دار المعرفة، 2010.

32. **هوبزباوم، إيريك**، *الأمم والقومية منذ عام 1780: البرنامج، الأسطورة، الواقع*، ترجمة فايز الصياغ، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2004.

33. **الإبراهيمي، أحمد طالب**، *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفلسطين*، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1991.

ب. التقارير والوثائق

34. **الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان**، *التقرير السنوي حول حالة حقوق الإنسان في فلسطين 2023*، رام الله: الهيئة المستقلة، 2024.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

A. Books

35. **Aronson, Michael**, *Troubled Waters: The Origins of the 1881 Anti-Jewish Pogroms in Russia*, Pittsburgh: University of Pittsburgh Press, 1990.

36. **Avineri, Shlomo**, *The Making of Modern Zionism: The Intellectual Origins of the Jewish State*, New York: Basic Books, 1981.

37. **Beales, Derek**, *The Unification of Italy (1815–1870)*, London: Hodder & Stoughton, 1971.

38. **Bein, Alex**, *Theodor Herzl: A Biography*, Translated by Maurice Samuel, Philadelphia: Jewish Publication Society, 1940.

39. **Berkowitz, Michael**, *Western Jewry and the Zionist Project (1914–1933)*, Cambridge: Cambridge University Press, 1997.

40. **Bredin, Jean-Denis**, *The Affair: The Case of Alfred Dreyfus*, New York: George Braziller, 1986.

.41 **Fichte, Johann Gottlieb**, *Addresses to the German Nation*, Translated by R.F. Jones and G.H. Turnbull, Chicago: Open Court Publishing, 1922 (orig. 1808).

.42 **Harris, Ruth**, *Dreyfus: Politics, Emotion, and the Scandal of the Century*, New York: Metropolitan Books, 2010.

.43 **Hertzberg, Arthur**, *The Zionist Idea: A Historical Analysis and Reader*, Philadelphia: Jewish Publication Society, 1959.

.44 **Herzl, Theodor**, *The Complete Diaries of Theodor Herzl*, Edited by Raphael Patai, New York: Herzl Press and Thomas Yoseloff, 1960.

.45 **Herzl, Theodor (compiled by)**, *The Congress Addresses of Theodor Herzl*, Translated by Nellie Straus, New York: Federation of American Zionists, 1917.

.46 **Klier, John & Lambroza, Shlomo (eds.)**, *Pogroms: Anti-Jewish Violence in Modern Russian History*, Cambridge: Cambridge University Press, 1992.

.47 **Laqueur, Walter**, *A History of Zionism: From the French Revolution to the Establishment of the State of Israel*, New York: Schocken Books, 1972.

.48 **Pappé, Ilan**, *The Ethnic Cleansing of Palestine*, Oxford: Oneworld Publications, 2006.

.49 **Reiss, H.S.**, *The Political Thought of the German Romantics (1793–1815)*, Oxford: Basil Blackwell, 1955.

.50 **Sternhell, Zeev**, *The Founding Myths of Israel: Nationalism, Socialism, and the Making of the Jewish State*, Translated by David Maisel, Princeton: Princeton University Press, 1998.

.51 **Zipperstein, Steven J.**, *Pogrom: Kishinev and the Tilt of History*, New York: Liveright Publishing, 2018